الأناجيل الأبوكريفا
قراءة في المفهوم والأثر

أ. محمد بودبان.
جامعة الأمير عبد القادر-قسنطينة-
الجزائر

ملخَّص:

تتحدَّث هذه المقالة عن جزءٍ مهم من تاريخ الكتاب المقدَّس، وهو متعلِّقٌ بالحكم بقانونية أسفاره من عدمها، فتعالج من هذه القضيَّة شطرها الآخر، وهو الكتابات التي عدَّتها الكنيسة منحولةً، فتبحث في المفهوم أوَّلاً –لأنَّه المنطلق في تحديد الأحكام- ثمَّ تبحث في المقام الثَّاني عن الأثر الذي انبثق عن الحكم الذي أصدرته الكنيسة في حقِّها، مع بيان أثرٍ اعتمده بعض المستشرقون في بحثهم عن مصادر تأليف القرآن الكريم –من حيث إنَّهم عدُّوه من تأليف النبيِّ صلى الله عليه وسلَّم- وهو استقاؤه من الكتابات الأبوكريفا. مع تحديد مجال الدِّراسة في نطاق الأناجيل الأبوكريفا كنموذج في ذلك.

Résumée :

Le sujet de notre article traite une partie importante de l'histoire de la bible concernant la formation de son "**Canon** "qui a des amples influences sur l'authenticité de la Bible .

Tout d'abord, on a commencé par définir et éclaircir le champs terminologique, puis on a recherché les critères invoqués pour justifier l'introduction ou le rejet d'un texte dans le canon. Et on a choisi aussi de traiter une problématique d'une grande importance, Il s'agit d'une tentative des Orientalistes de contester la Source divine du Coran, et de supposer que les écrits Apocryphes sont une source fondamentale pour la constitution du Coran .

مقدمة:

إنَّ الدَّارس في الأمور التي لها تعلُّقٌ بالكتاب المقدَّس الذي تؤمن به النَّصارى، لا بدَّ وأن يلفت نظره كلام الباحثين –نصارى وغيرهم- عن ما يسمَّى بـ **"الكتابات الأبوكريفا"** وذلك للمساحة التي يشغلها الكلام عنها في تاريخ تشكل قانون الكتاب المقدَّس الذي يضمُّ العهدين: القديم والجديد.

وسوف أحاول ههنا الكلام عن جزءٍ من هذه الكتابات وهو المتعلق بالأناجيل فقط، بحيث تكون كالنموذج الذي يمكن التوسُّع من خلاله إلى بقيَّة الكتابات؛ كما أنَّ أوضح الآثار يمكن أن نستشفَّها من خلال هذا النموذج أكثر من غيره؛ وإن كنت سأكتفي بأثرين متعاكسين في الاتِّجاه ذكرهما مترجم النصوص الأبوكريفا من العهد الجديد **"اسكندر شديد"** كمشكلة تطرحها ترجمة تلك النصوص إلى العربيَّة إذ إنَّها حسبه « من جهةٍ[1] تكشف عن مصادر عدَّةٍ للقرآن الذي استند إليها، وأخذ بها؛ ومن جهةٍ ثانيةٍ تُقدِّم للمسلمين حجَّةً في صحَّة ما يتَّهمون به المسيحيِّين بأنَّهم حرَّفوا الإنجيل والتَّوراة بما كتبوا من رواياتٍ مختلفةٍ أضفوا عليها صفة الوحي بغير حقٍّ». فسوف نبحث في صحَّة هذا الكلام من عدمه.

أوَّلاً: ضبط مفهوم الأبوكريفا.

إنَّ ثمَّ مصطلحين يجريان في الاستعمال فيما يتعلَّق بالكتابات والأسفار غير القانونيَّة لدى النَّصارى، وهما:

- **الأبوكريفا**:ككتابة بالأحرف العربيَّة للمصطلح الأجنبي.
- **والمنحول**: كترجمة دارجة في استعمال أصحاب اللِّسان العربي.

ولننظر أولا في معنى كلِّ مصطلحٍ؛ لننظر حظَّه من دقَّة معناه.

أ/ **الأبوكريفا**:

أصل اللَّفظة يوناني؛ وتعني سرِّيّ ومخفى، وعرفت اللفظة تغييرات في المعنى عبر التَّاريخ. إذ عنت قديماً الكتب التي يطَّلع عليها الخاصَّة دون غيرهم؛ أو التي لم تكن ممَّا يقرأ في الجموع. ومع القرن الرابع الميلادي، وبعد تحديد قانون الكتاب المقدس [الذي يضم لائحة الأسفار المقدَّسة التي قبلتها

[1]- الكنيسة في الشَّرق:الأناجيل المنحولة؛ ترجمة إسكندر شديد؛ تقديم ومراجعة جوزيف قزي، إلياس خليفة، (دط)، دير سيدة النصر، (دب)، 2004؛ (الكتاب عبارةٌ عن ترجمة إلى اللغة العربية لنصوص كتابات منحولة، وهو في ثلاثة أجزاء منفصلة)، ص10.

الكنيسة] أخذ المصطلح معنىً سلبيًّا في الكنيسة المسيحية، مع عدم وضوح ودقَّةٍ؛ وصار ممَّا يطلق على الكتابات غير القانونيَّة، التي كتبها أو استعان بها هراطقة، وممَّا كتب بعد الكتب القانونيَّة[1].

وهنا لابدَّ لنا من الانتباه إلى دقَّة الاستعمالات التي ينبغي للباحث في الأديان أن يكون منتبها لها، بحيث لا ينبغي له أن يخلط بين مصطلحات أهل الأديان مهما كان ثمَّ من تقاربٍ فيما بينها؛ فالمسيحيَّة عند الدِّراسة والتَّمحيص فيها امتداداتٌ عدَّة من اليهوديَّة؛ وهو شديد الوضوح فيما يتعلَّق بالكتاب المقدَّس الذي يؤمن به المسيحيُّون فشطره الأوَّل المسمَّى لديهم بالعهد القديم هو عبارةٌ عن أسفار اليهود؛ ولكن لا يجوز أن نطلق تسمية "**العهد القديم**" إذا كنا بصدد الكلام عن الديانة اليهودية، لأنَّ التَّسميَّة مسيحيَّة، واليهود أصلاً يرون العهد إلى إبراهيم عهدٌ أبديٌّ لا يبلى.

وعلى ذلك: فإنَّه من النَّاحية الفنِّيَّة لا يجوز لنا أن نستعمل كلمة "**قانوني**[2]" من وجهة النَّظر اليهوديَّة؛ لأنَّ اللَّفظة من حيثُ إطلاقها على الكتاب المقدَّس مسيحيَّةٌ في نشأتها، ولم يستعملها اليهود. وكان هؤلاء قد اصطلحوا على عبارةٍ أخرى تقوم مقام: "**غير قانوني**" فقالوا: "**تدنس الأيدي**"[3].

ويمكننا أن ننظر في الرابطة بين مختلف المعاني التي نشأت تدريجيًّا حول هذا المصطلح بالاعتقاد القديم الذي ترسَّخ لدى الجماعة المسيحيَّة، من كون اليهود لهم أدبٌ مخفى سرِّيٌّ[4] إلى جانب كتاباتهم المقدَّسة التي كانت معلومة لدى الجموع؛ ثمَّ اتسع الاستعمال لدى الفرق المهرطقة.

---

[1]-Voir: Encyclopédia of Christian Theology ; Roultage : New York, Great Britain ; 2005 ; P69 .

[2]- إنَّ اللفظة "قانونية" مأخوذة من اللفظة اليونانية Κανων التي تعني القاعدة واللائحة معاً؛ فالكتب سُمِّيت قانونيَّة لأنَّها لأنَّها هي القاعدة أو المقياس لصحَّة تعاليم المسيح، ولأنَّها كذلك في الوقت عينه من لائحة الأسفار التي تعترف الكنيسة بصحة تعاليمها. المطران كيرلس سليم بسترس، الأب حنّا الفاخوري، الأب جوزيف العبسي البولسي:الفكر المسيحي عند آباء الكنيسة؛ منشورات المكتبة البولسية، بيروت - لبنان، ط1، 2001م. هامش ص 37.

[3]- حبيب سعيد: المدخل إلى الكتاب المقدس، (دط)، دار التَّأليف والنشر للكنيسة الأسقفية: القاهرة- مصر؛ بالاشتراك مع مجمع الكنائس في الشَّرق الأدنى، (دت)، ص180.

[4]- F. Vigouroux ; et autres : Le Dictionnaire de la Bible ; 2éme tirage ; Letouzey et Ané Editeurs ; Paris-France, 1912, (1/767).

ففي أوائل العصر المسيحي أُستعملت الكلمة للدلالة على الكتب التي حوت تعاليم خفيَّة مستورة لا يعرفها إلاَّ الأقلُّون المختارون؛ فانطوت بذلك على المدح والثناء. وأشارت إلى الكتب التي خفيت عن العالم الخارجي بسبب تفوّقها وترفُّعها عن الأحياء العاديين ... ولكن كثيراً ما يكون الشَّيء المستور الخفيُّ عرضةً للرَّيب والشُّبهات؛ ولذلك انتقل معنى الكلمة من إطلاقها على الكتب الخفيَّة، أو الخاصَّة في محتوياتها؛ إلى إطلاقها على المؤلَّفات التي كانت خفيَّةً أو غامضةً في أصلها. وكان طبيعيًّا أن يقترن بالكلمة حوالي أواخر القرن الثاني معنًى آخر لا يشرِّفها. وأضيف إلى فكرة السرِّية فكرة الشُّبهة؛ وصارت كلمة: **"أبوكريفا"** مرادفة لكلمة باطل أو مزيَّف[1].

ب/ **المنحول**: إنَّ الجذر **"ن.ح.ل"** يدل على ثلاثة أشياء: الدِقَّة والهُزال؛ العطاء؛ والادِّعاء[2]. والذي له تعلُّقٌ باللفظة المترجمة هو المعنى الثَّالث وهو الادِّعاء؛ انتحل[3] كذا: إذا تعاطاه وادَّعاه. وقال قومٌ: انتحله: إذا ادَّعاه محِقًّا؛ وتنحَّله إذا ادَّعاه مبطلاً. ورأى ابن فارس أنَّ هذا التَّفريق ليس بشيءٍ. فإذن يكون لدينا: انتحله، وتنحَّله: ادَّعاه لنفسه، وهو لغيره[4].

وإذا كان التَّقليد العربي قد درج على مقابلة اللَّفظة اليونانيَّة بلفظة: **"منحول"** فإنَّ البعض لا يوافق على الترجمة بإطلاقٍ، لما يتَّصل بين المعنى اللُّغوي الذي سبق وسُقناه، وبين بعض المضامين التي تضمُّها تلك الكتابات، وتقرِّها الكنيسة، وتعلِّمه في رحابها؛ إذ يرون أنَّ: « لفظة **"منحول"** لا تعني بحدِّ ذاتها **"الهرطوقي"**؛ بل إنَّ من الكتابات المنحولة ما ينطوي على عناصر لاهوتيَّة، وروحيَّة تَقَويَّة، جديرةٍ بالثِّقة، لا سيَّما في ما يتعلَّقُ بموضوع العذراء. بيد أنَّها لم تجد محلاً لها في مجموعة الأسفار المقدَّسة القانونيَّة، إذ قد انسلَّت إليها أساطير، وروايات عجائبيَّة يستثقل فهمها؛ فلم تعد في مجملها جديرةً بالثِّقة كالأسفار القانونيَّة»[5].

---

[1]- حبيب سعيد: المدخل إلى الكتاب المقدس: مرجع سابق، ص184.

[2]- أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا: المقاييس في اللغة؛ ت شهاب الدّين أبو عمرو؛ (دط)، دار الفكر: بيروت- لبنان، (دت ص 1017.

[3]- المصدر نفسه، ص 1017.

[4]- مجد الدّين محمّد بن يعقوب الفيروزآبادي: القاموس المحيط، ت خليل مأمون شيحا؛ (ط2)، دار المعرفة: بيروت- لبنان، 2007م، ص1268.

[5]- المطران كيرلس سليم بسترس، الأب حنّا الفاخوري، الأب جوزيف العبسي البولسي:الفكر المسيحي عند آباء الكنيسة؛ منشورات المكتبة البولسية، بيروت - لبنان، ط1، 2001م. هامش ص 36-37.

ولعلَّه يوضِّح لنا ذلك قول من قال في تعريف **"المنحول"** بأنَّه: «المؤلَّف الذي يُشبه الكتب القانونيَّة؛ والذي لا يدخل في قانون الكتب المقدَّسة»[1]. فوجود الشَّبه بين القانوني وغير القانوني يجعل مدخلاً إلى قبول بعض ما حوته الكتابات المنحولة؛ وإلى عدم رفضه بالكلِّيَّة؛ ولكن من دون أن يوضع في لائحة القانوني المقبول.

ثانيا: أنواع الكتابات الأبوكريفا.

أنواع الكتابات الأبوكريفا هي تنقسم بحسب تعلُّقها بقسميْ الكتاب المقدَّس؛ حيث توجد أسفارٌ أبوكريفا بها تعلُّقٌ بالعهد القديم، وأخرى بالعهد الجديد. وأبوكريفا[2] العهد القديم قليلة الأسفار؛ وأمَّا بالنِّسبة للعهد الجديد فالأسفار كثيرةٌ جدًّا. وكاتبوها من اليهود والمسيحيين على السواء.

أُلِّفت أسفار الأبوكريفا للعهد القديم مابين القرنين: الثاني قبل الميلاد، والقرن الثالث الميلادي ... فيما أُلِّفت أبوكريفا العهد الجديد في القرنين الثاني والثالث الميلاديين[3].

وما يهمُّنا نحن في هذه المقالة هو الأناجيل تحديداً؛ حيثُ إن الأبوكريفا بالنِّسبة للعهد الجديد تنقسم عادةً أربع مجموعاتٍ[4]:

1. الأناجيل.
2. الأعمال.
3. الرسائل.
4. الرؤى.

والأناجيل الأبوكريفا المعروفة أهمُّها: إنجيل تادي **Thaddée**؛ إنجيل ماتياس، إنجيل بطرس، الإنجيل التمهيدي ليعقوب، إنجيل برنابا، إنجيل توما الذي يعتني به أصحاب ماني، إنجيل برثلماوس **Barthélemy**، إنجيل أندراوس

---

[1]- صبحي حموي اليسوعي: معجم الإيمان المسيحي، أعاد النظر فيه من النَّاحية المسكونيَّة الأب جان كوربون،(ط1)، دار المشرق: بروت- لبنان، 1994م، ص484.

[2]- انظر: الفكر المسيحي عند آباء الكنيسة: مرجع سابق؛ ص 40.

[3] - Initiation Biblique; publiée sous la direction de A.Robert et A. Tricot, imprimeurs du Saint siege et la Sacrée congregation des rites: Paris, Tournai, Rome; p60.

[4]- الكنيسة في الشَّرق: الأناجيل المنحولة: مرجع سابق، ص 11. وانظر: الفكر المسيحي عند آباء الكنيسة: مرجع سابق، ص42.

André، إنجيل لوسيان، إنجيل إيزيشيوس **Esichius**، إنجيل الطفولة لمتَّى، إنجيل الطفولة العربي، إنجيل نيقوديموس، الإنجيل بحسب العبرانيِّين، الإنجيل بحسب المصريِّين، إنجيل الأبيونيِّين (وهذان الأخيران قريبان من إنجيل متَّى)، وإنجيل غمالئيل[1]...

ثالثا:حكم الكتابات الأبوكريفا:

إنَّ الفرق والطوائف المسيحية وإن تقاربت من حيث إيمانها بمجموع أسفار الكتاب المقدَّس القانونية، وعدِّ ما سواها من الأبوكريفا إلاَّ أنَّ ثمَّة اختلافاً طفيفا في عدِّ الأسفار القانونية؛ « فحين نقارن الكتاب المقدَّس العربي الذي تستعمله الكنائس البروتستانتية، بالكتاب المقدَّس الذي تستعمله الكنائس الكاثوليكية والأرثوذكسية الشَّرقيَّة؛ نلاحظ أنَّ النُّسخة الأخيرة تشمل أسفاراً أكثر من الأولى... وفي بعض الكتب المقدَّسة الإنجليزية، نجد تلك الأسفار مجتمعةً معاً، وموضوعةً بين العهدين القديم والجديد. أمَّا في الكتب المقدَّسة الكاثوليكيَّة والأرثوذكسيَّة، فإنَّ هذه الأسفار موضوعةٌ في أماكن مختلفة»[2].

وهذا الاختلاف الواقع بينهم هو في بضعة أسفار من العهد القديم؛ أساسه التَّفريق في أيِّ التوراتين أولى بالقبول: التَّوراة العبريَّة، أم التوراة السبعينية؟ أمَّا الأبوكريفا المرفوضة قديما فكلهم يرفضها؛ إذ جوهر الخلاف قائم على كون الكنيسة لم تقبل كلَّ الأسفار جملةً واحدة، بل ترددت في قبول بضعةٍ منها؛ حيث ينبغي ملاحظة أنَّه تطلق عبارة **"قانونيٌّ أوَّل" Proto-canonique** على[3] أسفار الكتاب المقدَّس التي قُبلت فوراً في اللاَّئحة الرَّسميَّة للأسفار الملهمة. ويطلق الكاثوليك عبارة **"قانوني ثانٍ" Deutéro-canonique** على[4] الأسفار التي لم تُقبل في اللائحة الرَّسمية للأسفار الملهمة، إلاَّ في وقت لاحقٍ.

---

[1]- F. Vigouroux ; et autres : Le Dictionnaire de la Bible ; op.cit ; (1/768-769) . et Abbé H.Lesetres. P.Lethielleux : La clef des Evangiles ; Libraire-editeure : Paris-France, p8.

والأب توماس ميشال اليسوعي: مدخل إلى العقيدة المسيحيَّة؛ ت كميل حشيمه اليسوعي، (دط)، دار المشرق: بيروت- لبنان، 1992م، ص41-42؛ والفكر المسيحي عند آباء الكنيسة: مرجع سابق، ص42-44.

[2]- المدخل إلى الكتاب المقدس: مرجع سابق، ص 179.

[3]- معجم الإيمان المسيحي: مرجع سابق، ص 368.

[4]- المرجع السابق، ص 368.

ولذلك لا نجد في نسخة مارتن لوثر[1] الأسفار القانونية الثانيَّة، وينتهي العهد القديم فيها بسفر **"ملاخي"**؛ وأنصار كالفن[2] قد رفضوا أسفار الأبوكريفا كلِّيةً؛ وجاء في قرار **"وستمنستر" 1643**م أنَّه ليس لهذه الأسفار أيُّ سلطان في كنيسة الله؛ ولا يجوز قبولها أو استعمالها إلاَّ ككتابات بشرية.

رابعا: أثر الأناجيل الأبوكريفا على الدراسة المقارنة للكتاب المقدس.

لا شكَّ لدى الباحث في مجال مقارنة الأديان من كون الدراسة للكتب المقدَّسة عموماً لها آثارُها البليغة في أيِّ خطوةٍ يخطوها؛ سواءٌ كان اتِّجاهه: الموافقة أو المخالفة لذلك الدِّين أو لغيره. ولعلَّ أهمَّ ما يحرص عليه أتباع الدِّيانات المختلفة هو إثبات صحة كتبهم وبطلان غيرها؛ ولعلَّ ذلك بارزٌ بقوَّة في المناظرات التي ملأت تاريخ المسلمين وتواليفهم المختلفة، ومع أهل الكتاب بوجهٍ خاصٍّ.

ولذلك فقد وقع اختياري في هذه المقالة على أثرين أودُّ مناقشتهما يترتبان على وجود الأناجيل الأبوكريفا؛ الأوَّل: يتعلق باقتباس القرآن الكريم من الأناجيل الأبوكريفا من عدمه بحسب ما يراه مسيحيُّون ومستشرقون. والأثر الآخر: يتعلق بدلالة وجود الأبوكريفا إلى جنب القانونيّ، على وقوع التحريف للكتاب المقدَّس ككلّ كما يراه المسلمون ويجادلون به وعنه.

الأثر الأوَّل: وقوع الاقتباس القرآني عن الأناجيل الأبوكريفا من عدمه.

المتأمِّل عموماً في كتابات المستشرقين، يجدهم يحاولون البحث عن مصادر يرونها أنَّها قد كانت روافد لمحمَّدٍ –صلى الله عليه وسلَّم- في تأليفه للقرآن الكريم باعتباره صاحبه. وكثيرٌ منهم يميلون إلى عدِّ الكتاب المقدَّس من أهمِّ الروافد في ذلك. والمتأمِّل في نصوص الأناجيل الأبوكريفا يجدها فعلاً تذكر بعض الأمور التي جاءت في القرآن الكريم، ولم تذكر في الأناجيل القانونيَّة. ولكن هل ورود ذلك كافٍ في الاستدلال؟

الذي نراه أنَّه غير كافٍ للأسباب الآتية:

1/ القرآن الكريم لا يُحدِّثُنا أنَّه يقصُّ أموراً لم يضطلع عليها أحدٌ قبل أمَّة النبيِّ محمَّد صلَّى الله عليه وسلَّم؛ وإنَّما يقول إنَّه يقصُّ أحسن القصص؛ ويأتي بالفصل فيها؛ وعلى هذا يذكر أموراً بعضها يوافق ما عند اليهود، أو النصارى،

[1]-Die Bibel Nach der übersetzung Martin Luthers ; Deutsche bibelgesellschaft, stuttgart : Deutschland.

[2]- حبيب سعيد: المدخل إلى الكتاب المقدس: مرجع سابق، ص183.

أو يوافق كليهما، أو يوافق أحدهما ويعارض الآخر؛ أو يعارضهما جميعاً؛ أو يذكر مالم يذكروه.

2/ المسيحيُّون يرون أنَّ ما روي في الأناجيل هو ليس كلَّ الأخبار عن المسيح، بل يوجد غيرها الكثير، أخذا بآخر إنجيل يوحنا وهو قوله: « **وأشياء أخر كثيرة صنعها يسوع؛ إن كتبت واحدة واحدة، فلست أظنُّ أنَّ العالم نفسه يسع الكتب المكتوبة؛ آمين** »[1]. فإذا كان ما صنعه يسوع كثيراً جدًّا؛ فليس كلُّه ممَّا أثبت في صحف المسيحيين، وعلى ذلك لا حجَّة لهم في الاعتراض على ما ورد في القرآن الكريم الذي كلَّمنا بما عليه مدار الهداية فتخيَّر من ذلك ما شاء؛ بحيث وافق بعض ما في الأناجيل القانونيّة، وبعض ما في الأبوكريفا، وعارض بعضهما؛ وجاء بما لم يأت فيهما؛ وهذا ما يبطل إطلاق الاستدلال الذي يحاوله المسيحيون والمستشرقون على السواء.

3/ أنَّ تلك الأناجيل تذكر إلى جانب ذلك أموراً كثيرة جدًّا هي ممَّا يرفضه القرآن الكريم بالكلِّيَّة؛ فإنجيل الطفولة العربي الذي يزعمون الاقتباس منه؛ يُثبت مثلاً أنَّ المصلوب[2] هو المسيح عيسى عليه السَّلام، فلِمَ يأخذ القرآن الكريم أموراً هامشيَّة ويقتبس عنها؛ ثمَّ يُعارض أموراً جوهريَّة في الأساس؟

4/ ثمَّة أمورٌ أخرى في أناجيل الأبوكريفا تدعم مواقف ثابتة في القرآن الكريم ولم نجد لها ذكرا فيه؛ فلماذا مثلاً لا يذكر إنجيل الطفولة العربي حادثة سقوط الأوثان عند دخول المسيح وأمِّه إلى الهيكل؛ مع أنَّها قويَّة في دعم موقف الإسلام من الشِّرك، وهي القصَّة الواردة في إنجيل مولد مريم، وميلاد المخلِّص: «**وحدث أنَّ الطُّوباويَّة مريم مع طفلها عندما دخلت الهيكل، سقطت الأوثان كلُّها على وجهها أرضاً؛ ولبثت مدمَّرةً ومحطَّمةً. وهكذا تمَّ ما قاله النبيُّ إشعيا: ما إنَّ الرَّبَّ يأتي على سحابةٍ؛ وكلُّ الأعمال صنيعةُ المصريّين ترتجف لمرآه**»[3]. وبخاصَّةٍ حينما نرى أنَّ حاكم المدينة المصريَّة اعتقد اعتقاداً لا يوافقه عليه القرآن العظيم: «**لو لم يكن هذا الطِّفل إلهاً؛ لما سقطت آلهتنا على وجهها في حضرته؛ ولما سجدت أمامه. إنَّها تعترف به هكذا ربًّا لها**»[4]. وهذا يقوِّي السبب الأول كذلك.

---

[1]- يوحنا 21: 25.

[2]- انظر ترجمة هذا الإنجيل ابتداءً من ص 49 من كتاب: الكنيسة في الشَّرق: الأناجيل المنحولة: مرجع سابق.

[3]- ترجمة إنجيل الطفولة في المرجع نفسه، ص 102-103.

[4]- المرجع نفسه، ص 103.

5/ أنَّ بعض ما يستدلون به، لاحقٌ للقرآن الكريم في الفترة الزمانية، فغريب أن يستدلَّ على أنَّ القرآن العظيم قد أخذ عن إنجيل **"مولد مريم"** وهو الذي أُلِّف في قولهم حوالي سنة **800**م[1].

6/ أنَّ بعض ما يدَّعونه لا يمكن إقامة البرهان على ضبط عبارته ووثاقتها؛ فإنجيل الطفولة العربي على سبيل المثال، الذي يبتدئ بهذه العبارة: **"باسم الآب والابن والرُّوح القدس الإله الواحد"** في إحدى النُّسخ نجد مكان تلك العبارة: **" باسم الله الرَّحمن الرَّحيم"**[2].

وفيما يلي ذكرٌ للنصوص التي يرى بعض المسيحيِّين أنَّها مقتبسة عن أناجيل الأبوكريفا مرتَّبة بحسب موضوعاتها، وسوف نزيد المسألة بيانًا من خلال التَّعليق على بعضها:

1/ **في نذر مريم**:

ورد في إنجيل يعقوب التَّمهيدي: « **فقالت حنَّة: ليحي الرَّب إلهي؛ سواءٌ كان صبيًّا أم بنتاً ما ألده؛ فسوف أقدِّمه للرَّبِّ؛ وسوف يكرِّس حياته للخدمة الإلهيَّة**»[3]. يقابل هذا النَّص بما ورد في سورة آل عمران: 35-36.

2/ **في المخاض:**

ورد في إنجيل متَّى المنحول: « **عندها قال الطِّفل يسوع الذي كان في ذراعي العذراء مريم أمِّه للنَّخلة: أيَّتُها الشَّجرة اِحني سعَفَك، وأطعِمي أمِّي من ثمارك. فحنَّت النَّخلة على الفور لصوته رأسها، حتى قدمَيْ مريم؛ وأمكن قطف الثِّمار التي كانت تحملها، وأكلوا منها كلُّهم. وظلَّت النَّخلةُ منحنيةً ... عندها قال لها يسوع: اِنهضي أيَّتُها النَّخلة؛ وكوني رفيقة أشجاري التي في جنَّة أبي. وليتفجَّر من جذورك نبعٌ مخبوٌّ في الأرض، وليزوِّدنا بالماء الضروريِّ لإرواء عطشنا**»[4]. يقابل هذا النَّص بما ورد في سورة مريم:24-25.

---

[1]- انظر المقدمة الموضوعة بين يدي ترجمته في المرجع نفسه، ص123.
[2]- في الهامش رقم1، من ترجمة هذا الإنجيل في المرجع السابق، ص 49.
[3]- انظر ترجمة الإنجيل في المرجع نفسه، ص 34.
[4]- المرجع السابق، ص101.

3/ الحديث في المهد:

ورد في إنجيل الطُّفولة العربيِّ: أنَّ يسوع قال لأمِّه: « **أنا الذي ولدتِه؛ أنا يسوع ابن الله، الكلمةُ، كما بشَّرك بذلك الملاك جبرائيل؛ وأبي أرسلني لخلاص العالم**»[1]. يقابل هذا النَّص بما ورد في سورة مريم مثلاً: 30-36. ويلاحظ ههنا الفرق الكبير بين ما تكلَّم به المسيح في مهده بحسب هذا الإنجيل؛ وما ورد في النَّصِّ القرآني؛ فهو هنا يقول: " **أنا يسوع ابن الله، الكلمةُ** "؛ وفي القرآن: «**إِنِّي عَبْدُ اللهِ آتَانِيَ الكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيئًا**». فأيُّ اقتباسٍ وقع بين النصَّين؟

4/كفالة زكرياء لمريم:

كمثل ما ورد في إنجيل يعقوب التَّمهيدي: « **وإذا بملاك الرَّب بدا له، وقال: يا زكريا يا زكريا: أُخرج واستدع من هم أرامل وسط الشَّعب، وليأت كلُّ واحدٍ بقلم؛ ومن يختاره الله بعلامةٍ يكون الزوج المعطى لمريم ليحفظها (...) فقال الكاهن الأعظم ليوسف: لقد عُيِّنت باختيار الله لتقبُّل عذراء الرَّب هذه، وحفظها قربك...**»[2]. يقابل هذا النَّص بما ورد في سورة آل عمران: 37 و 44. والذي كفل مريم في هذا الإنجيل يوسف النجَّار الذي لا أثر له في القرآن الكريم؛ وإنَّما فيه: «**وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّاءُ**» فأين معالم الاقتباس إذن؟

5/ في رزق مريم:

ورد في إنجيل يعقوب التَّمهيدي أيضا هذه الفقرة: « **وكانت مريم مربَّاةً كحمامة في هيكل الرب؛ وكانت تتلقَّى طعاماً من يد الملائكة**»[3]. يقابل هذا النَّص بما ورد في سورة آل عمران:37.

6/ خلق الطير من الطين:

كمثل الذي ورد في إنجيل توما الإسرائيلي، في سياق كلامه عن الطفل يسوع الذي كان عمره حينئذٍ خمسة أعوامٍ: «**وإذ جبل طيناً استخدمه ليصنع اثني عشر طائراً ... فصفَّق يسوع بيديه، وقال للطيور هيَّا؛ فطارت مغرِّدةً، واستولى الإعجاب على اليهود لدى رؤية هذه المعجزة؛ ومضوا يروون ما رأوا يسوع يفعله**»[4]. وورد ذلك كذلك في إنجيل الطفولة العربي[1]. ويمكن أن يقابل هذا النَّص بما ورد في سورة آل عمران:49؛ وسورة المائدة:110.

---

[1]- المرجع نفسه، ص50.
[2]- المرجع نفسه، ص37-38.
[3]- المرجع السابق، ص 37.
[4]- انظر ترجمة هذا الإنجيل في المرجع نفسه، ص22.

الأثر الثَّاني: دلالتها على وقوع التحريف لكلمة الله من عدمه.

يدفع المسيحيُّون عن كتابهم أيَّ وصفٍ للتَّحريف؛ ويؤكِّدون دوماً كونه معصوماً؛ يقول القسُّ منسَّى منصور: « إنَّ الكتاب المقدَّس هو كتاب الله جلَّ شأنه؛ وصدوره من الله رأساً، ونسبته إليه تعالى معنًى ولفظاً حقٌّ ظاهرٌ كالشَّمس في ريعان الضُّحى»[2].

ويأبى المسلمون -خاصَّة- عليهم ذلك الوصف الذي يطلقونه على كتابهم، ويقيمون الشَّواهد والدلائل المتكاثرة على ذلك؛ وفي ظنِّي أنَّ وجود ما يسمَّى بالأناجيل الأبوكريفا، هو من الأدوات المنهجيَّة التي بإمكانها أن تثبت صدق ما ورد في القرآن الكريم، من كون كتاب النصارى قد تعرَّض إلى التَّحريف، مثَلُه في ذلك مثلُ التَّوراة؛ وتتَّضح جوانب ذلك وإثباته من خلال الآتي:

1/ النَّظر في أنَّ الذين ألَّفوا الأناجيل –قانونيَّة أو غير قانونيَّة على السواء- هم بشرٌ دوَّنوا البشارة، ولأغراض مختلفة، وقد كانت الأقوال تنتشر في الآفاق، وكانت النَّاس تنشد في خضم ذلك أن تكون عندها الأخبار الصحيحة فيما يتعلَّق بيسوع النَّاصري؛ كما تدلُّ عليه ديباجة إنجيل لوقا إذ يقول: «**إذ كان كثيرون قد أخذوا بتأليف قصة، في الأمور المتيقنة عندنا؛ كما سلَّمها إلينا الذين كانوا منذ البدء معاينين، وخدَّامًا للكلمة؛ رأيت أنا أيضا؛ إذ قد تتبعت كلَّ شيءٍ من الأوَّل بتدقيقٍ، أن أكتب على التوالي إليك أيُّها العزيز ثاوفيلس، لتعرف صحة الكلام الذي عُلّمت به**»[3].

2/ النظر في الأسباب التي حملت الكاتبين للأبوكريفا على ذلك التَّدوين، إذ لابدَّ أن ننظر في الأسباب التي على أساسها وُجدت الكتابات الأبوكريفا؛ وقد وصف البعض ذلك بما يمكن تفريعه إلى ثلاثة اتِّجاهات كانت الباعث على تأليفها:

أ. التَّقوى[4] الشَّعبيَّة، والرَّغبة في الفائدة اللاَّهوتيَّة؛ وهدفت إلى ملء الفراغات الكثيرة التي نقع عليها في الأسفار القانونيَّة؛ والمتعلِّقة على سبيل المثال بطفولة مريم ويسوع، أو بمصير الرُّسل.

---

[1]- المرجع نفسه، ص70.

[2]- منسى منصور: عصمة الكتاب المقدَّس؛ (ط2)، مكتبة الإسكندريَّة: مصر، 1964م، ص10.

[3]- لوقا 1: 1-4.

[4]- انظر: الفكر المسيحي عند آباء الكنيسة: مرجع سابق؛ ص 40.

ب. الرغبة في إيجاد أسفارٍ تطمح إلى منافسة الأسفار القانونيَّة؛ وإلى اعتبار تعاليم وآراء الجماعات والشِّيع المختلفة؛ أو التَّقاليد والعادات المحلِّيَّة شرعيَّةً صحيحةً.

ت. السعي إلى الإجابة عن مسائل دفاعيَّة أو عقيديَّة معاصرة مدَّعيةً سلطة الرُّسل ادِّعاءً وهميًّا؛ ومن هذه الكتابات المنحولة جزءٌ يميل إلى الهرطقة أو الغنوصيَّة في أغلب الأحيان.

فبالنَّظر إذن إلى البواعث سابقة الذِّكر نجد أنَّ النيَّة في التَّأليف تنوَّعت بين الحسنة (في الباعث الأوَّل)؛ والسيِّئة (في الباعثين الأخيرين). وهو ما يستلزم وجود منهجٍ واضح المعالم في التَّمييز بين القانوني وغيره.

3/ النظر في عدم تحقيق النِّسبة في الكتابات إلى أصحابها قانونيَّةً كانت أم لا: فالأناجيل القانونية الأربعة اثنان منها منسوبان إلى حواريين، واثنان إلى تلاميذ الحواريين، وتنسب الكتابات الأبوكريفا كذلك عادة[1] إلى كتبةٍ قدماء، ومن ذوي التَّبجيل؛ فكيف يحدث التمييز المنهجيُّ بينهما؟

4/ قول من قال منهم: « إنَّ من الكتابات المنحولة ما ينطوي على عناصر لاهوتيَّة، وروحيَّة تَقَويَّة، جديرةٍ بالثِّقة، لا سيَّما في ما يتعلَّقُ بموضوع العذراء. بيد أنَّها لم تجد محلاً لها في مجموعة الأسفار المقدَّسة القانونيَّة، إذ قد انسلَّت إليها أساطير، وروايات عجائبيَّة يستثقل فهمها؛ فلم تعد في مجملها جديرةً بالثِّقة كالأسفار القانونيَّة»[2] هو حجَّةٌ في وقوع التَّحريف الذي هو في معناه البسيط لا يعني سوى اختلاط صوابٍ بخطئٍ من دون القدرة على التَّفريق بينهما؛ إذ إنَّ ما يتعلَّق بالعذراء في الأناجيل الأبوكريفا –وهو الأمر الذي ضرب به المثال في الكلام السابق- لم يرد في الأناجيل القانونيَّة؛ بما يعني أنَّهم حكموا بصواب بعض ما جاء في الأبوكريفا بمجرد المعنى لا غير.

ومع كلِّ ما قدَّمناه، فإنَّنا نرى أنَّ الموضوع جديرٌ بالتَّوسُّع فيه، وبحث الكثير من دقائقه وتفريعاته؛ ولعلَّ هذه المقالة تكون نواةً لبحثٍ أوسع من هذا مما يفي بأغراضه إن شاء الله.

الخاتمة:

---

[1]- L.Monloubou- F.M. Du Buit: Dictionnaire Biblique universel; desclée; Paris- France 1984 ; p47.

[2]- المطران كيرلس سليم بسترس، الأب حنّا الفاخوري، الأب جوزيف العبسي البولسي:الفكر المسيحي عند آباء الكنيسة؛ منشورات المكتبة البولسية، بيروت - لبنان، ط1، 2001م. هامش ص 36-37.

في ختام هذه المقالة أرى من الضرورة بمكان أن ألخِّص مجموع النتائج التي توصلت إليها من خلالها كالآتي:

1/ التّفريق بين الأسفار المقدّسة في المسيحية بين قانوني وأبوكريفا حقيقة علمية واقعية؛ ترجع أسبابها إلى المدة الزمانية المتطاولة التي صيغ فيها الكتاب المقدَّس؛ وكثرة الكاتبين؛ وتباينهم في الأغراض والإمكانات، والتوجُّهات، والاستعدادات.

2/ يحترز بعض المسيحيين العرب من توظيف مصطلح: **"منحول"** بشكل مطلق، ومن دون احتراز، كتعريب لمصطلح: **"أبوكريفا"** لكون بعض ما في الأبوكريفا غير ذي صلة بالهرطقة.

3/ تختلف المذاهب المسيحية فيما بينها اختلافا طفيفاً في قبول بعض الأسفار من العهد القديم على وجه التَّحديد، أو رفضها؛ والذين يقبلونها - وهم الكاثوليك والأرثوذكس- يسمون المقبولة منذ البداية أسفاراً **"قانونيَّة أولى"**؛ ويسمون ما يدعوه غيرهم أبوكريفا: **"قانونيَّة ثانية"**.

4/ الاعتبارات المختلفة والمتعلِّقة بالأناجيل الأبوكريفا على وجه التَّحديد، تجعل منها أداةً في إحداث إشكاليات تتعلَّق بتكوين **"قانون الكتاب المقدَّس"** وبوثاقة نص الكتاب المقدَّس؛ وهو ممَّا يعتمده النُّقَّاد المسلمون في مناظراتهم مع المسيحيِّين.

5/ لا يمكن من النَّاحية العلميَّة إثبات كون القرآن الكريم قد اقتبس من الأناجيل المنحولة، وإن كان بعض ما ورد فيها قد ورد كذلك في القرآن الكريم؛ لأنَّ مضامين القرآن الكريم فيما يتعلَّق بالمسيح عليه السلام قد وافق القرآنُ بعض ما في الأناجيل القانونيَّة الأربعة المعتبرة؛ ووافق بعض ما في المنحولة؛ وعارض بعض ما فيهما؛ كما جاء بما لم يرد فيهما أصلاً.

6/ يحتاج موضوع الأناجيل الأبوكريفا إلى التوسُّع والتعمُّق في دراسة أسفاره، والنظر في آثاره العلميَّة والمنهجيَّة؛ وإيجاد تطبيقاتٍ له في واقع الحوارات الدِّينيَّة والحضاريَّة؛ والحوار الإسلامي- المسيحي على وجه الخصوص.